



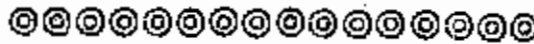
# زكي مبارك

حياته من أدبه

- ٣ -



لمرستان نور - الجبلى



أنفق زكي مبارك حياته الأدبية مصارماً . . مناضلاً ، يعقد المساجلات . . ويخاصم الأدباء ، يصفه الزيات بقوله : إنه لون من ألوان الأدب المعاصر ، لا بد منه ولا حيله فيه ، وهو الملاك الأدبي في ثقافتنا الحديثة . والرياسة كما نعلم ضرورة الحياة لسلامة العقل والجسم .

أما عنفه وشمسه فهما الصبح المديز للونه . . على أنه هو أول الشاهدين على أن صفازي قد نجت من طول ما أهابت به ، وهو في قفازه السنتريس يهدر في المجال بين الجبال مفضياً بعض الأعضاء من قراهد الملائكة وهو الى ذلك يجب أن يقول الجديد . . الذي يثير الناس .

وكم مرة أثار العلماء والفقهاء والأدباء . . ، أنارهم حين حمل على الغزالي ، في كتابه « الأخلاق عند الغزالي » وأنارهم حين تعرض للقرآن في النثر القوي وحين تعرض لنظرته وحدة الوجود . . في كتاب التصوف الاسلامي .

•

وهو مصارع جبار قوي المعارضة ، لم يقف أمامه خصم واحد ، قبح السامعي بيومي ، وذلك في المساجلة التي دارت بينهما حول الشيخ المرصفي ، فهي من أول هزائمه . . ثم نواتل الهزائم عند ما كتب الضمراوي « ما تركي مبارك وكتاب الله » في الرسالة ، وأخذ ينقد في شدة وهنق أخطاه التي تضمنها كتاب النثر القوي .

« القتل الادبي » أما فل ذلك . فقد كان زكي سارك حنيفاً ومصارماً . . وأكبر

جلاته ، تلك التي حملها علي طه حسين وأحمد أمين .. التي قابلها كل منهما في صمت . سم هذا الصمت راشرت .. ولكنه على كل حال لم يكن صمت القادر على الدخول في مفارقة .. مع كاتب جريء كزكي مبارك .

ولكننا من ناحية أخرى نستطيع أن نؤكد أن هاتين الخصومتين لم تكونا خالصتين لوجه العلم والأدب وحده ، ولكن زكي كان يصدر فيهما عن خصومة شخصية .

كأن الخلاف بينه وبين طه حسين قد احتدم من وقت طويل ، وكان زكي قد عارض طه وحمل عليه وعلى آرائه في كتابه النثر الفني .

وكان طه حسين قد وصف هذا الكتاب بأنه « كتاب من الكتب الذميمة كاتب من الكتاب » وهنا حمل زكي علي طه .. بعنف ، ولكننا لا نستطيع أن نقول إن الأدب الخالص والنقد المجرد كان هو مصدر تلك الحملة .

صحيح .. إنها تحمل في بعض جوانبها ، الخلاف حول أفكار .. ولكنها لا تبدأ أبداً من الفرض .

وسارع زكي مبارك : الكتاب سلامة . دوسى وعبد الله عفيفي ولطفي حمه ودخل الصحف طويلاً .



ولسد فأن أبرز ما يميز به « زكي مبارك » هو إنه فيلسوف .. وشاعر ، كبير العاطفة ، قري الوهج الروحي .. ومن هذه النفسية الملتبئة جمع بين الكتابة في الحب .. والكذبية من الصوفية .. فذا أقرب الصلة بين الحب والصوفية في نفس شاعر فيلسوف كزكي مبارك .

.. كأنه محققاً وباحثاً .. كأقدر ما يكرن الباحثين ، وكان كاتباً بليغاً كأعظم كتاب اللغة العربية ، وقد عاش حياته كلها بين كتبه ، ولكنه كان يفهم الحياة حق الفهم ، يفهم الطير المجرى .. وإذا كان لنا من رجاؤنا أننا نطلب الى ابنه الأستاذ فهمي مبارك أن يجمع فصول « الحديث ذي شعرون » في مجلد كبير ويقدمها الطبع ، حتى ينفع بها المتفقون وعبي الأدب .

رحم الله الفقيد الكرم رحمة واسعة وعوض لغة الضاد عنه خير العوض .